

تفریح شرح حدیث

مَا ذُنُوبَانِ جَائِعَانِ

فَضِيلَةُ السَّيِّئِ فِي الدُّنْيَا

مُحَمَّدُ بْنُ هَارِثِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ



قَامَ بِهَا فَرِيفَ النَّفْرِيعَاتِ بِمَوْقَعِ مِيرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ

www.miraath.net

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وسلم
تسليماً كثيراً .

قال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي - رحمه الله تعالى - في شرح حديث - ما ذنبان جائعان -

وكلام السلف في هذا المعنى كثيرٌ جداً يطولُ ذكرُهُ واستِقصاؤُهُ.
ومن هذا الباب أيضاً كراهة الدخول على الملوك والدنو منهم وهو الباب الذي يدخل
منه علماء الدنيا إلى نيل الشرف والرياسات فيها.
وخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن عباس - رضي الله
عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: - ((مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَاً ، وَمَنْ
اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ ، وَ مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السَّلَاطِينِ افْتَنَ))
وخرج أحمد وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي -
صلى الله عليه وسلم - وفي حديثه ((وَمَا ازْدَادَ أَحَدًا مِنَ السُّلْطَانِ دُثُوًّا ، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ
اللَّهِ بُعْدًا)).
وخرج ابن ماجه -

الشيخ:

على الصحيح ابن ماجه بالهاء وصلًا ووقفًا ، وبعضهم جوز مثل ما ذكر الحافظ ولكن
الصحيح والأكثر على أنه بالهاء ابن ماجه ؛ نعم.

وخرج ابن ماجه من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَفْقَهُونَ فِي الدِّينِ ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَقُولُونَ : نَأْتِي الْأُمَرَءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَرِلُهُمْ بِدِينِنَا ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقِتَادِ إِلَّا الشُّوْكَ ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا " يَعْنِي: الْخَطَايَا))

وخرج الطبري في لفظه ((إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ ، يَأْتِيهِمُ الشَّيْطَانُ ، يَقُولُ: لَوْ أَتَيْتُمُ الْمُلُوكَ فَأَصَبْتُمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَاعْتَرَلْتُمُوهُمْ بِدِينِكُمْ إِلَّا وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقِتَادِ إِلَّا الشُّوْكَ ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الْخَطَايَا))

وخرج الترمذي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:- ((تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ حُبِّ الْحَزَنِ ، قَالُوا: وَمَا حُبُّ الْحَزَنِ ، قَالَ: وَادِّ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ " ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ يَدْخُلُهُ ، قَالَ: الْقُرَّاءُ الْمُرَّءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ)).

وخرَجَ ابن ماجه نحوه وزاد فيه: ((وَإِنَّ أَبْعَصَ الْقُرَّاءِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يَزُورُونَ الْأُمَرَءَ الْجَوْرَةَ)).

ويروى من حديث علي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحوه. ومن أعظم ما يُخشى على من يدخل على الملوك الظلمة أن يُصدِّقَهُم بكذبهم ، ويعينهم على ظلمهم ، ولو بالسكوت على الإنكار عليهم ، فإن من يريد بدخوله عليهم الشرف والرياسة - وهو حريص عليهما - لا يُقدم على الإنكار عليهم بل رُبَّمَا حسن لهم بعض أفعالهم القبيحة تقربا إليهم ، ليحسن موقعه عندهم ويساعده على غرضه.

وقد خرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي ، وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن عُجرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال ((سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَءٌ ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضَ ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي

[الشرح]

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:
فهذا الجزء الذي قرأه علينا أخونا -جزاه الله خيراً - لا يزال الكلام فيه مستمراً على خطورة
حب المرء للشرف والرياسة على دينه ، فإن من حرص على الرياسات وسعى إلى طلبها لا بد
وأن يقع في التنازل عن شيء من الدين ، وشيئاً فشيئاً حتى يفسد دينه؛ إلا من رحم الله وهم
قليل ، وإذا فالعبرة بالأعم الأغلب وبالكثير ، ومن هذا الباب الدخول على السلاطين والملوك
والأمراء والحكام لأجل هذا المقصد الديني ألا وهو جناية الرئاسة، والسيادة؛ لا لنصيحتهم
وتذكيرهم ووعظهم فيما يُصلحهم ويُصلح الدين والرعية.

ما مقصدهم في الدخول على الأمراء والسلاطين والحكام هذا؟

فالمقصد ليس مقصداً شرعياً ، ولأجل ذلك تراهم لا يُنكرون عليهم الخطأ، على الطريقة
الشرعية ويُقروهم على المنكر ، وهم يعلمون أن هذا منكر ، ويسكتون عن المنكر إن رأوه
أمامهم ، وأعظم من ذلك وأقبح وأخبث لو حسنوه لهم وصوبوه لهم كما مر معنا بالأمس ،
بل التمسوا لهم فيه المخارج، ومقصدهم بذلك أن ينالوا ما أرادوا من هؤلاء الملوك والسلاطين
والحكام؛ كيف ذلك؟ بعدم إنكارهم وسكوهم أو بالتبرير لهم في باطلهم يحسن لهذا عند
هؤلاء الملوك والحكام مواقفهم ومواقفهم، فيرون أن هؤلاء هم العلماء، ما هم مترمتين ، ما هم
متشددين، ما عندهم إلا حرام حرام حرام ، وبلعة العصر منفتحين متنورين ، يعيشون
عصرهم ونحو ذلك ، فيخلعون عليهم الولايات ، ويقلدوهم المناصب ويدنوهم منهم
وُيرأسوهم ، فهذه الأحاديث كلها على هذا النحو ، أما الدخول على الحاكم لتعزيره وتوقيره
وشد أزره على الحق وبذل النصيحة له فيما يصلح به الدين والدنيا وتحذيره من الباطل ومن
الشر بالطريقة الشرعية المشروعة هذا مطلوب ، وقد جاءت به الأحاديث فإن من إجلال الله
كما في حديث أنس - رضي الله عنه - كما في السنن ((إِجْلَالِ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَ ذِي
السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ ، وَ حَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَلَا الْجَافِي عَنْهُ)) وفي الحديث الآخر
((وَرَجُلٌ دَخَلَ عَلَى إِمَامِهِ يُرِيدُ تَعْزِيرَهُ)) من الثلاثة الذين يظلمهم الله ، فالشاهد هذه
الأحاديث وما كان في معناها مُنزلة على هؤلاء الذين ذكرهم المصنف - رحمه الله تعالى -

وهؤلاء إن قيل إنهم علماء فهم علماء السوء ، علماء السوء ، أما علماء الخير والصالح والديانة والأمانة فهم الذين يبذلون الواجب الذي عليهم بالطرائق الشرعية ، وحديث ((مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ حَفَا ، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ ، وَ مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السَّلَاطِينِ افْتِنَ)) هذا حديث حسن ، ثم الحديث الآخر ((وَمَا ازْدَادَ أَحَدًا مِنَ السُّلْطَانِ دُنُوًّا ، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا)) ، هذه اللفظة ضعيفة ولا شاهد لها ، وما حديث ابن عباس - رضي الله عنهما ((إِنَّ أَنَسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَفْقَهُونَ فِي الدِّينِ ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَيَقُولُونَ : نَأْتِي الْأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَرِلُهُمْ بِدِينِنَا)) هذا فيه ضعف ، وعلى كل حال ، هذا فيه وصف حال من يخانتون الدين بالدنيا ، فيقصدون بدخولهم الدنيا لا يقصدون الدين كما هو صريح في لفظ هذا الحديث ، لأنهم دخلوا لا لأجل مقصد شرعي وإنما دخلوا لإصابة الدنيا ، يقولون نعتزلهم بدِيننا ، وهيهات إذا لم يدخلوا لمقصد شرعي فإنهم سيهلكون ، لأن المقصد الشرعي هو الذي يمنع صاحبه بإذن الله - تبارك وتعالى - من الهلاك في هذا الباب ، والمقصد الشرعي أن يكون إيصال الخير إلى الناس وتذكير هؤلاء الولاة بما يجب لله عليهم من الحقوق وما يجب للخلق من الحقوق وإعانتهم على ذلك ، فإذا كان مقصدهم الدنيا فإن الدنيا لا يمكن أن تبذل لهم إلا إذا سكتوا عن الدين وعن الأخطاء التي يرونها في دين الله - تبارك وتعالى - فحينئذٍ تحصل الفتنة. أما حديث أبي هريرة في الحب ، جُب الحزن ، هذا ضعيف شديد الضعف ولا يصح ، والمؤلف هذا مما يؤخذ عليه في مثل هذه الرسائل - رحمه الله - كان الواجب أن ينبه عليها خصوصاً شديد الضعف ، ولهذا عقب هذه الأحاديث كلها بما سمعتم أن أعظم ما يُخشى على هؤلاء (إذا دخلوا على الملوك الظلمة والفسقة وأهل الجور فيُصدقهم بكذبهم ، مثل ما قلنا بالأمس ، يقول هذا الحاكم الجائر الباطل ينصح طال عمرك ، صحيح طول الله عمرك ، أطال الله بقاءك ، هو كما تقولون وهو ليس كذلك ، هذا خلاف المنقول والمعقول ، فهذا مجرم زين لمجرم ، ولا يجوز له ذلك بل هو أشدُّ قبحاً في هذا الإجرام من الحاكم ، لأن الحاكم ربما جهل هذه الأشياء لكن إذا كان العالم يُزين له الكذب ويصدقه بكذبه أو يعينه على باطله أو ربما يُحسن له بعض أفعاله القبيحة لأجل أن ينال الخطوة عنده فهذا هو عالم السوء نعوذ بالله من ذلك ، فهذا أقبح وأحبث ما يكون أن يُصدقه بكذبه أو يعينه على ظلمه أو يبرر

ويحسن له سوء فعله ، هذا أقبح ما يكون من علماء السوء ، يصدق المحرم ، يصدق الظالم ، يصدق بكدبه ، أوعينه على ظلمه ، أويحسن له فعله ويبرره ، لم؟ ليرضى عنه ، يقول هذا هو العالم ، هذا هو الذي يفهم ، ما هو هؤلاء متحجرين متشددين متذمتين متخلفين هؤلاء الذين يريدون يرجعون إلى الوراء ألف سنة لا ، هذا هو العالم ، فهذا هو عالم السوء. والدرجة الثانية في القبح وهي أخف من الأولى أن يسكت عن الإنكار يرى الباطل ويسكت فهذه أقل الأحوال فيها أن يقال محتجاً بعالم السوء هذا ، لو كان عملنا هذا غلطاً كان أنكر علينا الشيخ فلان والعالم الفلاني فيكفي أنه يحتج بسكوته على إجرامه من باطله ، فهذا ومثله هذه الأحاديث منزلة عليهم ويدل عليه الحديث الآخر الصحيح الصريح ((سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضُ ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعْنِهِمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ)) لم يدخل عليهم طلباً للسلامة ، أو دخل لكن نهامهم وأمرهم ، لم يعينهم علي ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم ((فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضُ)).

هذا الحديث صريح في كيف يكون عالم السوء وكيف يكون عالم الحق ، فالشاهد أن علماء السوء وهم الذين يجتنون الدنيا بسنارة الدين، بثوب الدين، بمظهر العلم يجتنون الدنيا بسكوتهم على باطل هؤلاء، هذا منكر عظيم وينبغي لصاحب العلم أن يتقي الله - جل وعلا - في نفسه، ويعلم أن هذا العلم له عليه حق وأعظم حق أن يهدي به الخلق إلى الحق، هذا أعظم ما يجب عليه ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ فلا بد العالم والحر الرباني ينهى عن الباطل ، أما أنه يُزين الباطل فهذه مصيبة عظيمة، وما يحمله على هذا إلا طلب الدنيا ، فطلبه للرياسة أفسد دينه وأهلكه وأوبقه عياداً بالله من ذلك. ونحن نرى هذا الآن فيما هو أقل من الدخول على الحكام، في الرياضات، في المراكز العلمية والجمعيات الدعوية تُفسد الدين، فكيف بالدخول على أرباب الدنيا؟ نسأل الله العافية والسلامة.

حب الرياسة شهوة خفية تُسيطر على النفوس، ولا يسلم منها إلا من رحمه الله تبارك وتعالى. بعض الناس يحب أن يكون الناس له تبع، يحب أن يترأس، هذه بلية، هذه شهوة خفية والناصح هو الذي يحرص على هداية الخلق. هؤلاء هم الذين ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا﴾ كما قال الله - جل وعلا - واصفًا لهم، ولهذا لهم الدار الآخرة عند الله - تبارك وتعالى - كما قال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يهيمه هداية الخلق عظموه، احتراموه، زاروه، تعاودوه بالزيارة فلا يهيمه. يهيمه أن يهديهم إلى دين الله ويعرفوا الحق ويستقيموا عليه ولو ما رأهم بعد، أهم شيء عنده أن يستقيموا على الهدى والصراط المستقيم، لأن هو ما جاء يكون أحزاب ولا جماهير. الدعوة إلى الله تبارك وتعالى تدعو الناس لهدايتهم لا لولايتهم تتولى عليهم وترأس عليهم، هذه أحوال السياسيين وأحوال أرباب الدنيا، نسأل الله العافية والسلامة.

قال رحمه الله: وخرج الإمام أحمد معنى هذا الحديث من حديث حذيفة، وابن عمر، وخباب بن الأرت، وأبي سعيد الخدري، والنعمان بن بشير رضي الله عنهم. وقد كان كثير من السلف ينهون عن الدخول على الملوك لمن أراد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر أيضا. وممن نهي عن ذلك عمر بن عبد العزيز وابن المبارك والثوري وغيرهم من الأئمة. وقال ابن المبارك ليس الأمر الناهي عندنا من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم، إنما الأمر الناهي من اعتزلهم. وسبب هذا ما يُخشى من فتنة الدخول عليهم، فإن النفس قد تُخيل للإنسان إذا كان بعيدًا عنهم أنه يأمرهم وينهاهم ويُغلظ عليهم فإذا شاهدتهم فيها مالت النفس إليهم، لأن محبة الشرف كامنة في النفس،

الشيخ:

عندكم فيها؟ هذا هو: إذا شاهدتهم قريباً مالت النفس إليهم، يعني إذا اقترب منهم، إذا شاهدتهم عن قرب مالت النفس إليهم.

فإذا شاهدتهم قريباً مالت النفس إليهم، لأنَّ محبة الشرفِ كامنة في النفس، لمحبة النفس له، ولذلك يُداهنهم ويُلاطفهم، وربما مال إليهم وأحبَّهم، ولا سيما إن لاطفوه وأكرموه وقبل ذلك منهم، وقد جرى ذلك (لابن طاووس) مع بعض الأمراء بحضرة أبيه طاووس فوجَّه طاووس على فعله ذلك.

وكتب سفيان الثوري إلى عباد بن عباد، وكان في كتابه: ((إياك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تُخدع ويقال لك: لتشفع وتدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة، فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فُجار القراء سُلماً، وما كفيت عن المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم، وإياك أن تكون كمن يجب أن يعمل بقوله أو ينشر قوله أو يُسمع قوله، فإذا تُرك ذلك منه عُرف فيه، وإياك وحب الرئاسة، فإن الرجل يكون حب الرئاسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يُبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقد بقلب واعمل بنية، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت، والسلام))

[الشرح]

الله أكبر، هذا الكلام من سفيان وغيره - رحمهم الله تعالى - كله منزل على ما ذكره سابقاً المصنف - رحمه الله -، أن من يخشى على نفسه فلا يدخل، من كان على علم ومعرفة ودخل وأمر ونهى فإنه قد برئ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد بين ذلك، قال: ((سَيَكُونُ **بَعْدِي أُمَرَاءٌ**))، وأخبر عن هؤلاء الأمراء أنهم يهدون بغير هديه ويستنون بغير سنته، ثم أخبر أن من أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع، من أنكر فقد برئ، ومن

كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، وهذا في حق عموم الناس، فكيف بالعالم؟ عالم إذا أنكر وبين لهم على الطرائق الشرعية، فإن هذه الأحاديث كلها تدل على ذلك، ولا سيما إذا كان الموجب قائماً، حاجة السلطان، إذا تُرك تولى عليها أهل الباطل، كانت بطانته أهل الباطل والسوء، مثل هذا يتوجب على مثل هؤلاء أن يدفعوا عن أهل الإسلام بنصحهم له، وتذكيرهم إياه، وهذا لا بد منه، ولا بد فيه من الدخول عليه، ولكن ليس معنى ذلك أنك تبقى نديمه، لا، باب الدخول والأمر والنهي شيء، والمنادمة والمجالسة والمؤانسة باب آخر، إلا إذا كان من حكام الصلاح كعمر بن عبد العزيز، ومن كان على شاكلته فنعم - رحمهم الله -، فلو كان يديني العلماء، وهكذا في هذا العصر المتأخر الإمام محمد بن سعود - رحمه الله تعالى - كان مجلسه، محمد بن عبد الوهاب شيخ الإسلام وعلماء الدعوة، فقامت هذه الدعوة بنصرة الحاكم لها، وقام الدين وطُبق حتى قال عنه المستشرقون - ما هو المسلمين -، قال بعضهم: إن الجزيرة العربية ما مرّ عليها بعد عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه مثل ما جاء في عهد دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب وحكم الإمام محمد بن سعود، فأعادوها إلى ما كانت عليه، بل يذكر ابن بشر وابن غنّام أن الزكوات كانت تُجبي من بلاد الخليج كلها، وتُساق إلى الدرعية، فكان يجتمع الوادي العظيم من الإبل الذي لا ترى له نهاية، وتبقى فيه وتوزّع على الفقراء، على مستحقيها، من إمارات الخليج الحالية كانت تجبي إلى الدرعية، وذلك بسبب انتشار الدين والإسلام وتطبيق الشرع، العالم إذا كان في دخوله على الحاكم مصلحة، فإنه يتعين ذلك، وإلاّ إذا تُرك الحاكم لأهل الباطل - خصوصاً في مثل هذه الأزمان - إذا تُركوا للفسقة والفجرة، تُركوا لأهل الأفكار المنحرفة الشهبانين العلمانيين ونحوهم، والليبراليين وأمثالهم أو لأهل الأهواء، كطوائف الإخوان المسلمين، جماعة التبليغ، وجماعات الصوفية بأنواعها والمتجهمة الذين فيهم ترفّض وقل ما شئت من بقية صنوف أهل البدع، إذا تُرك الحاكم وهو قليل العلم لهؤلاء هلك، وإذا هلك هلك الناس بهلاكه، بل ربما فرض المذهب الباطل بسبب بُعد أهل الحق عنه، فلا بد من التذكير ولا بد من الأمر والنهي ولكن بالطرائق الشرعية، ولهذا إذا قرأت في أحوال السلف تجد من ذلك ما يدلّ عليه وإن كان الأعم الأغلب عليهم هذا الذي سمعتم، والإنسان إذا دخل بمقصد صحيح ودعا ربه

التثبيت له ، وكان من أهل الخوف من الله - تبارك وتعالى - ، فإنه يوفق ، وأما إذا كان مقصده الدنيا ، والأمانة عنده قليلة ، وخوفه من الله ضعيف ، فهذا لا يُوفق ، يُفتن ولو كان بعيداً ، وكم قد رأينا من علمائنا الذين تعرفون ، قد نفع الله بهم في هذا الباب نفعاً عظيماً ، وعلى رأسهم شيخنا شيخ الإسلام في هذه الأعصار المتأخرة الشيخ عبد العزيز - رحمه الله - ، قد كتب الله له القبول في قلوب الناس جميعاً حُكماً ومحكومين ، وهذا بصدقه - رحمه الله تعالى - وقيامه بالنصيحة ، كثير من أخباره في هذا الباب ، كثير من الناس مارأها إلا بعدما تُوفي - رحمه الله - ، لما خرجت رسائله ، يكتب هؤلاء الحكام على بعد ، يبلغه المنكر عندهم فيكاتبتهم فإذا أزالوه ، كتب إليهم بعد ذلك يشكرهم ، ويدعو لهم ويشجعهم ، وانظروا في رسائله ، ومواقفه مع الأقربين منه وهم حكام هذه البلاد - وفقهم الله - لا تُعد ولا تُحصى ، انظروا كتابته لصاحب الأردن ، حينما بلغه أنه عمل نصباً تذكاريّاً في الساحة وكتب إليه ، وكتب إليه بعد ذلك يشكره ، انظروا هذا في الرسائل ، فهذا من حق الحاكم على العالم ، أن يُبين له خصوصاً العالم الذي يقع له في القلوب مكانة ، ويُقبل منه ، يتوجّب عليه أن ينصح ويقوم بالواجب عليه ، مع احتياطه لدينه ، أما من يخاف على نفسه الفتنة فلا يجب ، من يخاف على نفسه الضعف فلا يأتي ، لا يبيع دينه بدنياه ، ونسأل الله - جل وعلا - السلامة والعافية .

ومن هذا الباب أيضاً كراهة أن يُشهر الإنسان نفسه للناس بالعلم والزهد والدين أو بإظهار الأعمال والأقوال والكرامات؛ ليزار وتُلمَس بركته ودُعاؤه وتقبيل يده وهو مُحب لذلك ويُقيم عليه و يفرح به ويسعى في أسبابه.

[الشرح]

هذه مصيبة أخرى ، أن يكون صاحب هذا العلم ، طالباً للرأس به على الناس ، لكن من باب آخر ، ما هو باب الحكام ، يُحب أن يُعمل بقوله ، ويُنشر قوله ، ويُسمع له ، فإذا لم يُسمع له غضب ، هذه مُصيبة ، كأنه حاكم أو يجب الدعاية لنفسه يشتهر بين الناس ، وهذا نراه نحن اليوم ، فلان له قناة ، فلان له موقع ، ونحو ذلك ، مكاتب وله وكلاء ، يجب أن يُشهر بهذا

حتى تُطبَّق شهرته الأرضَ ويُصبح الناس لا يعرفون إلا هذا العالم الذي يُقال عنه إنه عالم ؛ لو كان عالماً حقاً ما عمل هذا ؛ لأن العالم الحقيقي يسعى في مرضي الله - عز وجل - ، فإذا رضي الله عنه أحبه ، فإذا أحبه نادى جبريل : يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه ، فيُحبه جبريل ، ثم يُنادي جبريل في أهل السماء ، إن الله يُحب فلاناً فأحبه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، هذا يكتسب محبة الناس بطاعة الله - تبارك وتعالى - ، ما يسوقهم إليها سوقاً.

النوع الثاني الذي ذكره: هذا ينطبق على أهل التصوف والزهد ، الذين يُظهرون الزهد والتصوّف في الدنيا والكرامات ، الولي فلان ، والقطب - كما يقولون - فلان ونحو ذلك . فيشهر نفسه بين الناس بالزهد والدين ويحكي عن كراماته : صار لي كذا فحصل ، وفعلت كذا وحصل لي كذا والمقصود من ذلك - أن يحدثه للناس - أن ينشروه عنه ، ليعمّ الخبر بين الناس ؛ ليزوره بعد ذلك ويقبلوا يده ورأسه ، ونحو ذلك ويطلبون الدعاء والبركة وخذ من هذا القبيل ، وهذا موجود وهو منتشر بين أرباب التصوف خاصة ، وفي عصرنا هذا موجود ، وذات مرة كنا في المسجد الحرام ، وكان من هذا الصنف من الناس ، شخصٌ جالس هم يأتون يأخذون يده من على فخذه ويقبلونها ، وهو كالصنم لا يتحرك ، كأن به شلل ! تؤخذ يده كالخرقة ويُسلم عليها ثم تعاد ، وهكذا طول الوقت ، بين المغرب والعشاء في رمضان ، جاء بعضهم فأنكر عليه و (...) تدخل رجال الأمن ، فصلينا المغرب ، هذا كان بعد المغرب في رمضان ، ثم نودي بالإعلام بالصلاة على الجنائز ، فقمنا بالصلاة على الجنائز وهو جالس ، لم يصل معنا ، فكلّمه أحد الإخوان منتهراً إياه ، قال له : يفوتك الأجر وأنت جالس؟! قال : كنت أنا أكل السمبوسة ، يعني مشغول بالسمبوسة ، هذا أمانا ما أحد حدثنا به ، فسبحان الله ! هذا منتشر بين هؤلاء ، يعني أكلك للسمبوسة يُفوتك الصلاة على الجنائز على جنائز المسلمين في مثل هذا الموقف في مثل هذا المكان الذي الصلاة فيه بمئة ألف صلاة سواء كانت فريضة أو نافلة فإن هذا إخبار يعم كل صلاة فيفوته الخير العظيم وانظر إلى هذا التبرير البارد وأعجب من ذلك أنه ما كان يأكل السمبوسة بيديه كانوا يُلقمونه إياها مثل الطفل أو مثل من تعطلت يده فنعوذ بالله من الضلالة ، فهذا الصنف من الناس ينطبق عليهم هذا الكلام

وهذا يترأس على الناس باسم الدين والعلم والزهد والفقر والتصوف والمحبة وخذ من هذا القليل مما يزعمونه لهم ، هذا الكلام موجود وهذه الطائفة من الناس موجودة إلى زماننا هذا لاكثرهم الله.

قال رحمه الله:

ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة ، منهم أيوب والنخعي وسفيان وأحمد من العلماء الربانيين ، وكذلك الفضيل وداود الطائي وغيرهما من الزهاد والعارفين ، وكانوا يذمون أنفسهم غاية الذم ويسترون أعمالهم غاية الستر.

[الشرح]

الله أكبر وهذا صحيح هذا حال عباد الله المؤمنين العارفين بالله - جل وعلا - .
كان محمد بن واسع إذا تكلم بشيء من الخير الذي يُعرف عنه انتهر المتكلم وقال: لو كان للذنوب رائحة تفوح ما قدرتم على الجلوس بجاني.
هذا صحيح فالواجب على العاقل أن يزري بنفسه وألا يدخل العجب عليها فيهلك ، كتب ابن أبي الدنيا في هذا كتاب اسمه "محاسبة النفس والإزراء عليها" ، يعني لومها وهو كتاب جميل محاسبة النفس والإزراء عليها.
يعني تحقيرها إذا رأى فيها العجب وتوبيخها إذا رأى فيها العجب وحب التعاضم ما يطلق لها العنان ويتركها في هذا الباب تهلك ويهلك ، فإن النفس كالطفل إن تتركه شب على حب الرضاع وإن تفضمه يفطم كما قيل ، والنفس إذا بدأت بشي لا تشبع منه من الدنيا أو الدين منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا، فالنفس إذا فتنت بالدنيا لا تشبع ومن فتن الدنيا الرياسات والعلو والظهور هذه مصيبة عظيمة عياداً بالله من ذلك.
هذا الكتاب مفيد جداً محاسبة النفس والإزراء عليها لما تقرأ فيها تجد أقوال السلف كثيرة رحمهم الله تعالى في هذا الباب.

قال رحمه الله :

دخل رجل على داود الطائي فسأله ما جاء به؟ فقال: (جئت) أزورك.
فقال أما أنت فقد أصبت خيراً حيث زرت في الله ، ولكن أنا أنظر ماذا لقيت غدا.

[الشرح]

ولكن أنا أنظر ماذا لقيت غدا ، إذا قيل لي من أنت حتى تُزار ؟ ولكن أنا أنظر ، قال أما أنت فقد أصبت خيراً إذا جئت لزيارتي في الله أصبت خيراً على حسن مجيئك لأن نيتك طيبة وهي أنك تزورني في الله.

ولكن أنا أنظر ماذا لقيت غدا إذا قيل لي من أنت حتى تُزار؟ من الزُّهاد أنت؟ لا والله ، من العباد أنت؟ لا والله ، من الصالحين أنت؟ لا والله ، وعدد خصال الخير على هذا الوجه ، ثم جعل يوبخ نفسه ، فيقول: يا داود كنت في الشبيبة فاسقاً ، فلما شبت صرت مرأئياً ، والمرأئي أشر من الفاسق.

[الشرح]

الله أكبر نعم الله أكبر ، هكذا كان حالهم ، هكذا كان حالهم وقطع هذا الباب حتى لا يدخل في نفسه شيء في حب الجاه والعلو على الناس يرى نفسه أفضل منهم يُزار ويُقصد وإذا لم يُزر يسأل لم يزرنه الناس؟ هذا هو التواضع الحقيقي.

قال رحمه الله:

وكان محمد بن واسع يقول: لو أن للذنوب رائحة ما استطاع أحد أن يجالسني.
وكان إبراهيم النخعي إذا دخل عليه أحد وهو يقرأ في المصحف غطاه.
وكان أويس وغيره من الزهاد إذا عُرفوا في مكان ارتحلوا عنه.
وكان كثير من السلف يكره أن يُطلب منه الدعاء ، ويقول لمن يسأله الدعاء أي شيء أنا؟

[الشرح]

الشاهد أنهم كانوا مع عملهم الصالح يُغطون أعمالهم ويسترونها لأنهم يخافون على أنفسهم الرياء ويخافون أن يكون مقصودهم بعملهم شيئاً من الدنيا ، فيسترونها حتى تكون لله - جل وعلا - خالصة وأنهم ما أرادوا بها جنابة عاجلٍ من الدنيا ، الذي هو التسويد والترئيس والتعظيم وإنما أرادوا بها وجه الله - جل وعلا - دليل على ذلك أنهم يُقرعون أنفسهم ويوبخونها وإذا رأوا الناس اجتمعوا عليهم كما نُقل عن بعضهم وعرفوا أمكنتهم غيروا أمكنتهم وهذا من خوفهم على أنفسهم من الفتن.

فإن هذا الباب باب عظيم ، وأنت ترى اليوم بعض الناس يحب أن يمشي خلفه كوكبة ، ما كأنه طالب علم ولا كأنه عالم ما كأنه جبار من الجبابرة ، هذا ما هو حال أهل العلم ما هو حال أهل الصلاح ، حال أهل الصلاح على خلاف ذلك ، نعم العالم قد يمشي الناس خلفه لحاجتهم إليه يسألونه ويستفتونه هذا باب ، لكن الذي يجب أن يكون معه في الكوكبة كلما دخل كلما خرج هذا يتشبه بأرباب الدنيا بالملوك والسلاطين يكون معه حاشية ، ما يجب يمشي وحده يراه منقصة عليه لابد أن يلفت الأنظار إليه بهذا ، هذا موجود وكل ذلك باسم العلم وبظاهر العلم مظهر الدعوة إلى الله - جل وعلا- هذه مصيبة تقدر في الإخلاص - عياذا بالله من ذلك-.

وممن روي عنه ذلك عن عمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما،
وكذلك مالك بن دينار.
وكان النخعي يكره أن يُسأل الدعاء.
وكتب رجل إلى أحمد يسأله الدعاء فقال أحمد: إذا دعونا نحن لهذا ، فمن يدعو
لنا؟!

[الشرح]

الله أكبر ، يعني مثل من يقول اليوم نحن ندعو نحن نبغي الذي يدعو لنا ، والمراد بذلك صرفه
للناس حتى لا يفتتن هو وحتى لا يفتن الناس ، بعض الناس قلبه ضعيف وإيمانه ضعيف يفتتن
بذلك الشيخ يرى أنه صاحب مكانة أو صاحب كرامة ، كما هو الحال المشاهد الآن كما
قلت لكم عند من يزعم له هذا يفتتن نسأل الله العافية والسلامة.
فقد عرفنا بعض الناس من هذا القبيل كما قيل صعاليك عرفناهم صعاليك لا شيء لهم من
الدنيا أبدا فأصبحوا الآن حديث ولا حرج فهذا فتنة فتنة.
بل عرفت أنا الذي أمامك أحدثكم بعض الناس حتى في ثوبه إذا لبسه لا يجيد لبسه تماماً
والآن صار وصار ولا نحتاج نحن إلى التسمية ولكن الله يعلم ، وأشهد على ما أقول لكم أنني
صادق بذكر بعض هذه الأوصاف وقد صار وصار وفُتن في هذا الباب فنحن نسأل الله العافية
والسلامة ونسأل الله أن يُثبتنا وإياكم ويلحقنا بعباده الصالحين.

وَوُصِفَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ وَاجْتِهَادُهُ فِي الْعِبَادَةِ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ فَعَزَمَ عَلَى زِيَارَتِهِ فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَجَلَسَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ يَأْكُلُ فَوَافَاهُ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَجَعَلَ يَأْكُلُ أَكْلًا كَثِيرًا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ الْمَلِكُ: مَا فِي هَذَا خَيْرٌ وَرَجَعَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ هَذَا عَنِّي وَهُوَ لَائِمٌّ. وهذا بابٌ واسعٌ جدًا.

[الشرح]

على كلِّ حال المقصود أنه عمل هذه الحيلة ليتخلَّصَ بها ومقصوده سلامة نفسه. هذا وإن كنَّا لا نوافق علي مثل هذا أن يقعد في قارعة الطريق ويأكل بشره قد يكون قد اجتهد يكون قد رأى أن هذا يصدُّه عنه صلح في حقِّه هو لكن باستطاعة الإنسان أن يتخلَّص بغير هذا الوجه.

وها هنا نكتةٌ دقيقةٌ وهي أنَّ الإنسان قد يذمُّ نفسه بين النَّاسِ يُريد بذلك أن يُريَ أنَّه متواضعٌ عند نفسه ، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه وهذا من دقائق أبواب الرياء قد نَبَّهَ عليه السَّلفُ الصَّالح.

[الشرح]

هذه مصيبةٌ، هذه مخادعةٌ ومُغالطةٌ إذا انطلت على النَّاسِ أين تذهب من الله - تبارك وتعالى - الذي يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور ، والذي يحول بين المرء وقلبه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤] هذه مخادعةٌ يكون يتظاهر بالتواضع وهو في الحقيقة يُريد المدح عليه مُخادعة ، يُريد أن يُقبل النَّاسُ إليه ويريد أن يمدحه النَّاسُ وهو يتظاهر بعدم حبِّ المدح من المُغالطة فيكون مثل قول القائل:

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَحْمَدَ

أنا أقول الله يباعدهم (...). هذا غير صحيح فهذا مقصده خبيث مُغالطة ، أطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمد ، الله يباعدهم عنا ، والمقصود الله يجيبهم يُعجل بهم ، فهذا الذي يذم نفسه ويريد أنه مُتواضع والمقصود الله يجيب لنا التعظيم ، الله يجيب لنا الثنا ، الله يجيب لنا المدح ، الله يجيب لنا الإجلال هذا حقيقةً فعياذا بالله من ذلك ، هذا هو المُخادعة هذا من الرياء الباطل فإذا انطلَى على الخلق بما عكسته في الظاهر فالله لا ينطلي عليه مثل هذا.

وهذا من دقائق أبواب الرياء وقد نبّه عليه السلف الصالح.
قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: "كفى بالنفس إطرأً أن تدمّها على الملاء، كأنك تريد بدمّها زينتها وذلك عند الله سفة."

[الشرح]

نعم إذا كان هذا هو المراد فلا شكّ، إذا كان هذا هو المراد المقصود الخفيّ في باطله فهذا عظيمٌ نعوذ بالله منه ، وإلاّ قد وردَ عن السلفِ ذمُّهم لأنفسهم كما تقدّمَ شيءٌ منه معنا قبل قليل لكن هذا مقصودهم الحقيقي منه هو سلامة أنفسهم وأما إذا كان يُخادعُ على هذا النحو فهذه مُصيبةٌ عظيمةٌ.

قال رحمه الله:
وقد تبينّا بما ذكرناه أنّ حُبَّ المال والرّئاسة والحرص عليهما يفسدُ دينَ المرء حتّى لا يبقى منه إلّا ما شاء الله كما أخبر بذلك النّبيّ - صلى الله عليه وسلّم - .

[الشرح]

هذا هو الحاصلُ مُحصّلةُ الكتاب وخلاصةُ ما تقدّمَ.
صحيحٌ لا شكّ ولا ريبَ أنّ حُبَّ الإنسان للمال و حبه للجاه والرّئاسة يفسدُ الدّين إلّا من رحمَ الله - تبارك وتعالى - أو لطّفَ به وسلّمهُ فصارَ الألفُ والواحدُ عندهُ سواءُ والريالُ

والمليونُ سواءٌ ، إن حصلَ ريالًا ما غضب وإن حصلَ الكثيرَ ما فرح ، يعلمُ أنَّه زائلٌ وربَّما احتلَّجتْ نفسه الآن وخرجتْ وتركتهُ وورثتهُ لمن خلفه ، فهو حريصٌ على أن يُقدِّمَ منه بينَ يدي الله ما ينفعُهُ عند الله يوم القيامة ، وهكذا بالنسبة للناس إن جاءه زائرٌ فحيَّاهُ الله وإن لم يأتِه أحدٌ فهو قد أنسَ بالله - تبارك وتعالى - كلُّه سواء عندهُ فنسألُ الله العافية والسلامة.

وأصل محبة المال والشرف حبُّ الدنيا وأصل حب الدنيا إشباعُ الهوى.
وقال وهب بن منية: من اتَّبَعَ الهوى الرَّغبة في الدنيا ومن الرَّغبة فيها حبُّ المالِ
والشرفِ ومن حبُّ المالِ والشرفِ استحلالَ المحارِمِ.

[الشرح]

لا وأصلُ محبةِ المالِ والشرفِ حبُّ الدنيا مافيه.. من.
كما قال الله - جلَّ وعلا -: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٣١) وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (١٣٢) [طه]
فلا شكَّ أنَّ أصلَ المحبة لهذين الأمرين للمالِ والجاهِ أصله حبُّ الدنيا لأنَّ الإنسان ما يُعظَّمُ بين المخلوقين إلَّا بواحد من هذين أو بهما معًا إمَّا أن يكون ذا سلطان أو ذا جاهٍ بينهم وإمَّا أن يكون ذا مالٍ ، فإذا كان صاحبَ جاهٍ أو صاحب مالٍ فهو من أهل الدنيا ، والناس يخضعون له ويطلبون القربَ منه ويتودَّدونَ إليه لينالوا من ماله أو لينالوا من جاهه ، ويُقال صاحب فلان أو يُقال العامل أو الوالي أو القاضي ونحو ذلك ، فأصله حبُّ الدنيا فمحبتُهُ للدنيا حملتهُ على أن يُحب المالَ والجاهَ وحبُّهُ للدنيا اتِّباعٌ للهوى.

وهذا كلام حسن إنما عُتِبَ على صاحبِ المالِ والشَّرَفِ الرَّغْبَةُ في الدُّنْيَا وَإِنَّمَا تَحْصُلُ الرَّغْبَةُ في الدُّنْيَا من اتِّبَاعِ الهَوَى، لأنَّ الهَوَى دَاعٍ إلى الرَّغْبَةِ في الدُّنْيَا وَحُبِّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ فِيهَا وَالتَّقْوَى تَمْنَعُ من اتِّبَاعِ الهَوَى وَتَرُدُّهُ عَنِ حُبِّ الدُّنْيَا.

[الشرح]

كما سمعتم في هذه الآية:- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ فالدنيا فتنة إن حصلت الرغبة فيها فإنه حينئذ قد هلك لأنه يقع في هواها، وهوى الدنيا ومحبة الدنيا سكرة لا تزول من عقل من خابرتة، فتوقعه في استحلال المحارم، إما بسبب جاهه، وإما بسبب ماله؛ لأنه بجاهه لا يردعه أحد، وبماله لا يقوى أيضاً عليه أحد، فالهوى دافع إلى الرغبة في الدنيا، وآفة الرأي الهوى، من يطع هواه غالباً فقد هوى، فاتباع الهوى مهلك للإنسان، واتباع أمر الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - هذا هو التقوى، هذا مانع من الهوى، فمن اتقى الله - جل وعلا - أخذ نفسه بالجد، ومن غفل عن ذلك ترك نفسه لما هوى، فتورده الموارد.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ﴿٤١﴾ [النازعات].

وقد وصف الله تعالى أهل النار بالمال والسلطان في مواضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهٖ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيهٖ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهٖ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهٖ﴾ ﴿٢٩﴾ [الحاقة]

[الشرح]

وهنا جمع الله - جل وعلا - بين هذين الأمرين، وهما: المال والسلطان، وأنهما أهلكا صاحبهما إذ عصى أمر الله ورسوله، ولم يتبع أوامر الله - جل وعلا -، بسبب اغتراره بجاهه أو بماله أو بهما معاً، فيوم القيامة تكون هذه النتيجة، ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهٗ﴾ وذلك لما فيه من كثرة الموبقات والسيئات التي تُهلكه وتُرديه، ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهٗ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيهٗ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ ﴿٢٧﴾ [الحاقة] ليت الهلاك والموت، وبس، ما كان بعده هذا، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهٗ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهٗ﴾ ﴿٢٩﴾ المال ما أغنى عنك، والسلطان ما أغنى عنك.

وقل غناء عنك مال جمعه*** إذا صرت موروثاً وواراك لاحقاً.

ما يغني عنك مالك بشيء، هذا لأحد شعراء هذيل، قل غناء عنك، ما أغنى يعني ما دفع عني شيئاً، فإن الغنى هو المال الذي تتركه بعد، ما ينفعك بشيء إذا صرت موروثاً وواراك لاحقاً، لحدك ورجع، فأخذ هذا المال، فما أغنى عنك مالك، وزال عنك السلطان، ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهٗ﴾ بعدما تمتعت فيهما بالدنيا، وغرك مالك وجاهك، فحصل منك ما حصل، فامتلاً الكتاب بالمعاصي فالثمرة هي هذه، والله - جل وعلا - أيضاً قد قال لرسوله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]، فأمره - سبحانه وتعالى - بأن يبقى مع أهل الدين، وإن قلت الدنيا في أيديهم، الذين أطاعوا وأجابوا لدعوته - صلى الله عليه وسلم -، وآمنوا به ولا تحرص على كبراء قريش، أهل المال والجاه، ماداموا قد صرفوا عن الحق والهدى، وعن إجابتك واتباعك؛ لأن هذه فتنة، فخليك مع من آمن بك، ولو كان فقيراً، ولو كان حقيراً، إما أن يكون فقيراً، وإما أن يكون حقيراً من العبيد والموالي الذين تحتقرهم قريش، قالوا: ما اتبعه إلا العبيد والفقراء، أبدأ، ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ فحب المال وحب الجاه أصله محبة الدنيا، ومحبة الدنيا هي محبة الهوى، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ فالواجب على العبد أن ينظر في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأقوال السلف الصالحين.

كتاب الله - جل وعلا- الآن يُقرأ، ويقرأه الناس، لكن للأسف كثير من الناس ما يفهم المعاني، فينبغي أن يقرأ القرآن مع فهم المعاني، يفهم الإنسان، ماذا في هذه الآية، وما معنى هذه الآية، وعلام تدل على هذه الآية، الآن للأسف هذا الكلام نقوله لبعض إخواننا من طلاب العلم ما يهتم بالتفسير، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، فتدبر آيات القرآن يورث الإنسان العلم، والعلم يورث العمل، فلا بد من قراءة هذا القرآن، وفهم معانيه، والعمل بما أمر به، والكف عما نهى عنه.

واعلم أن النفس تحب الرفعة والعلو على أبناء جنسها، ومن هنا نشأ الكبر والحسد، ولكن العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي، الذي فيه رضوان الله وقربه وجواره، ويرغب عن العلو الفاني الزائل، الذي يعقبه غضب الله وسخطه، وانحطاط العبد وسفوله، وبعده عن الله وطرده عنه، فهذا العلو الثاني الذي يذم، وهو العتو والتكبر في الأرض بغير الحق. وأما العلو الأول والحرص عليه فهو محمود، قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وقال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا، فنافس في الآخرة. وقال وهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل. وقال محمد بن يوسف الأصبهاني العابد: لو أن رجلاً سمع برجل أو عرف رجلاً أطوع لله منه كان ينبغي له أن يحزنه ذلك.

[الشرح]

يعني لماذا كان دونه؟ مقصراً في الطاعة، ما الذي جعله دونه؟ فعليه أن يسعى لأن يكون مثله، أو يتفوق عليه، لم؟ لأن هنا المنافسة والتفوق مطلوب، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ يعني في أمور الآخرة، العلو في الدرجات عند الله - تبارك وتعالى - في الجنات، هذا هو محل التنافس، التنافس الحقيقي في الآخرة، لا في الدنيا، فإذا بلغه أن رجلاً أطوع لله منه يحزن، يرى نفسه قد قصر فيحاول أن يكون مثله أقل شيء أو أعلى إن استطاع.

وقال غيره: لو أن رجلاً سمع برجل أو عرف رجلاً أطوع لله منه فانصدع قلبه لم يكن ذلك بعجب.

[الشرح]

يعني أسفاً على نفسه ، انصدع قلبه أسفاً على نفسه ، إذ الناس تسبق إلى الخيرات وهو متأخر.

وقال رجلٌ للمالك بن دينار: رأيتُ في المنام منادياً يُنادي أيها الناسُ الرحيل الرحيلَ فما رأيتُ أحداً ارتحل إلا محمد بن واسعٍ فصاح مالكٌ وغُشي عليه.

[الشرح]

من شدة ما نزل به إذ رأى ذلك في الناس جميعاً إلا محمد بن واسع ، كان رجلاً عابداً زاهداً صواماً قواماً مجاهداً وهو مُقل في الرواية صاحب دعوة مستجابة ، محمد بن واسع الأسدي وقد حضر بعض المعارك ولما حضر وطيس تنحى جانباً وأخذ يُشير بإصبعه فالتمسوه فما رأوه فوجدوه قد دخل أجمة يدعو فيها رافعاً إصبعه ، فقالوا للقائد ، فقال: دعوه فوالله لتلك الإصبع أحب إلي من مئة ألف سيفٍ شهيد يرفعها مئة ألف شاب (...). ما علمناه إلا مُستجاب الدعوة ونُصروا ، فهذا محمد بن واسع -رحمه الله- كان من العُباد الصُوام القُوام الزُهاد المجاهدين في سبيل الله - تبارك وتعالى - وقوله إلا محمد بن واسع ارتحل يعني أنه قام إلى الآخرة مسارعاً بفعل الطاعات وما خلد إلى الدنيا وأما غيره فما تحرك منهم أحد الله المستعان نسأل الله العفو والمسامحة.

ففي درجات الآخرة الباقية يُشرع التنافسُ وطلب العلوِّ في منازلها والحرص على ذلك بالسعي في أسبابه وألا يقنع الإنسان منها بالدون مع قدرته على العلو وأما العلو الفاني المنقطع الذي يُعقِبُ صاحبه غداً حسرةً وندامةً وذلةً وهواناً وصغاراً فهو الذي يصدر الزهد فيه والإعراض عنه

[الشرح]

يعني هذا الفاني العلو في الدنيا ويدل عليه الآيات الكثيرة ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] فالعلو في الآخرة إنما هو للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فساداً ، فالعلو الباقي للذي لا يُريد العلو الفاني ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] الذين طلبوا العلو الباقي وتركوا العلو الفاني فأبدلهم الله - جل وعلا- هذا بهذا وذلك فضل الله - تبارك وتعالى - نسأل الله ألا يحرمنا وإياكم من فضله العظيم.

وللزهد فيه أسباب عديدة:

فمنها نظر العبد إلى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والإمارة.

[الشرح]

وهذا مهم جداً اعقلوا هذا معرفة الأسباب المورثة للإعراض عن علو الدنيا الفاني ، والإقبال والاشتغال بطلب العلو الباقي ، هذا مهم جداً. فأول هذه الأسباب نظر الإنسان إلى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والإمارة وأنتم ترون الآن ، كم من رئيس أصبح يُحاكم؟ كم من رئيس بالأمس وهو يتبختر أصبح الآن يُحاكم خلف القضبان ، ويُجرد من ماله ويُجرد من الناصب والجازم ، فلا إله إلا الله ما أخس هذه الدنيا وما أحقرها ليست بشيء ، رؤساء بالأمس لهم صولة وجولة الآن خلف القضبان ، من

مُسك منهم؟ والذي شَرِد يُطالب بمحاكمته وإعادته لِيُطبق عليه العقوبات ، بعد أن كان صاحب صولة وجولة وصَوْلجان لا أحد يجرؤ على أن يرفع صوته فضلاً عن أن يتكلم ، بأن يقول له هذا باطل أمامه ، انظر الآن أين هو سوء العاقبة ما كأنه كان حاكماً يُهاب ، هذا يدلُّك على حقارة الدنيا ليست بشيء ، أعلى ما فيها المُلْك والولاية وكم من ملك الآن صار أسيراً ، فهل يُطمع بهذه الدنيا؟ أو يركن إليها؟ لا والله ما يركن إليها إلا سخيْف العقل ضعيف الدين ليست بشيء حقيرة ما هي بشيء نسأل الله السلامة.

ومنها: نظر العبد إلى عقوبة الظالمين والمتكبرين ومن يُنازع الله رداء الكبرياء.
وفي السنن عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: - ((يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ ، فِي صُورِ الرِّجَالِ ، يَعْشَاهُمُ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَيَسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْثَارِ ، يُسَقَوْنَ مِنْ غُصَّارَةِ أَهْلِ النَّارِ ، طِينَةُ الْخَبَالِ))

[الشرح]

يعني إذا نظر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا الحديث صحيح إسناده حسن ثابت بالنظر إلى مثل هذه الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حال أهل الكبر في الدنيا كيف يكون في الآخرة يتكبر علام يتكبر وذلك يورثه العظمة ويورثه العبرة والنبي - صلى الله عليه وسلم - قد أخبر ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ)) فإذا قرأ مثل هذه النصوص ورأى مثل هذا النص أن هؤلاء المتكبرين يُحشرون يوم القيامة أمثال الذر النمل الصغير فجزاء تكبرهم في الدنيا وتعاضمهم على عباد الله بالباطل حقرهم الله - جل وعلا - في خلقهم كما حقرهم في جزائهم فجعلهم في خلقهم أمثال الذر بعد أن كان أحدهم إذا مشى على ظهر الأرض يرى أنها تضيق عليه لا تتسع له من كبره ، أطول من الجبال يرى نفسه جعلهم الله - جل وعلا - كالذر في صورة إنسان لكن أحقر من الذر في الحقارة تحقير حسي يُذله الله - جل وعلا - فيجعله مثل الذر ولكن صورته صورة إنسان جزاء تعاضمه وتكبره في الدنيا ، ثم قال يغشاهم الذل من كل مكان هذا كله تحقير حسي ، ويساقون إلى

سجن في جهنم يُقال له بولس هذا الجزاء لهم على ظلمهم ، تعلوهم نار الأنيار ، يعني تغشاهم ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦] فنسأل الله العافية والسلامة ، هذا إنما يخوف الله به العباد تعلو هؤلاء النار من فوقهم وتغشاهم ويسقون من عصارة أهل النار ، طينة الخبال وهي صديد أهل النار وقبح أهل النار عيادا بالله من ذلك ، جزاء وفاقا تحقيرا لهم وتوبيخا لهم بعد أن كانوا متكبرين في هذه الحياة الدنيا ، نسأل الله العافية والسلامة عيادا بالله من ذلك.

وقدخرجه الترمذي وغيره من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

وفي رواية لغيره من وجه آخر في هذا الحديث: ((يَطْوُهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ)).
وفي رواية أخرى من وجه آخر في هذا الحديث: ((فَيَطْوُهُمُ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ وَالِدَوَابُّ بِأَرْجُلِهَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ)).

[الشرح]

الله أكبر نسأل الله العافية والسلامة ، هذا ينبغي أن يقرع به أسماع المتكبرين لأنه ينفعه ومن لا تنفعه مثل هذه النصوص لم ينفعه شيء ، هذا الكلام في سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا الذي ينفع الله - سبحانه وتعالى - به من أراد له الانتفاع ومن لا ينتفع بكلام الله وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - لم ينفعه بعد ذلك شيء فقراءة مثل هذه النصوص والأخبار والآثار تفيد الإنسان ، معالجة نفسه وتقويم نفسه والإزراء عليها ، وهذا من بركة العلم وهذا من (...) العلم ، ومن آثاره الحسنة العظيمة أنه يُورثهم خوف الله - جلا وعلا - وخشيته والطلب لسبيل النجاة فإن هذه النفس كلما غفلت تجبرت ، فعلى العبد أن يُراقبها وأن يتابعها وأن يذكرها بمثل هذه النصوص ، لأن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ (٣٧) ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٨) ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٣٩) ﴿قَابِلٌ﴾ (٤٠) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ، وبعد ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٤٠) ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ

هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ [النازعات] وخوف الله - تبارك وتعالى - يزداد في القلب بمثل ما يحصل به له الحياة والنور إذا قرأ مثل هذه النصوص ، يحیی قلبه فهذا من أثر العلم ومن بركة العلم ومن نفع العلم ومجالس العلم هذه من أعظم الأسباب في التذكير ، لأن الإنسان قد يضعف بنفسه ويتكاسل وربما ما يقرأ مثل هذه الكتب وربما يقرأ صفحة أو صفحتين وينقطع ، لكن إذا ربط نفسه في مثل هذه المجالس استفاد بإذن الله - تبارك وتعالى - نسأل الله أن يفيدها وإياكم وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يزيدنا من العلم النافع والعمل الصالح.

واستأذن رجل عمر - رضي الله عنه - في القصص على الناس فقال: - إني أخاف أن تقص عليهم فترتفع عليهم في نفسك حتى يضعك الله تحت أرجلهم يوم القيامة.

[الشرح]

هذا يُخشى عليك أن يدخل عليك باب العجب بالعلم فتري نفسك أعظم من الناس ترأس عليهم وقد استأذن هذا الرجل وهو الحارس بن معاوية الكِندي ، عمر - رضي الله عنه - في القصص يعني وعظ الناس وتذكير الناس ، فقال: أخاف عليك أن تقص فترتفع يعني ترى نفسك أفضل منهم ، هذا معناه حتى يضعك الله يوم القيامة تحت أرجلهم ، فيكون حينئذ هذا وأمثاله ممن يطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، فخُشي عليه من هذا الباب.

وقد جاء عن عمر - رضي الله تعالى عنه - أنه استأذنه تميم الداري أن يقص - رضي الله عنهما - جميعا فلم يأذن له ، ثم استأذنه فلم يأذن له ثم استأذنه الثالثة فأشار له هكذا يعني الذبح ، فالجلوس على الناس فتنة قعود للناس فتنة قد يوقع في قلب الإنسان العجب والفخر والتكبر عليهم ، هذه مصيبة وعلى الإنسان أن يُعالج نفسه في هذا الباب.

ومنها -: نظر العبد إلى ثواب المتواضعين لله في الدنيا بالرفعة في الآخرة

[الشرح]

هذا من الأسباب أيضا أن ينظر العبد إلى ثواب الله - جلا وعلا - لأهل التواضع في الدنيا بالرفعة وفي الآخرة بالرفعة أيضا في الدرجات ، هذا مهم جدا ينظر ثمار المتواضعين كيف رفعهم الله في الدنيا ، وهم لا يريدون هذا العلو وهم لا يريدون هذا المدح ولا يريدون هذا الشناء ، لكن أبي الله إلا أن يرفعهم لأنهم أخلصوا له ، ولم يطلبوا هذا وإنما طلبوا ما عند الله ، فأقبل الله بالقلوب عليهم هذا من الله - جلا وعلا - تجد بعض الناس يسعى بكل ما أوتي من قوة لأن ينال هذه الدرجة ولا أحد ينظر إليه ، وتجد أزهد الناس فيها والناس كلهم مقبلون عليه فنسأل الله - جلا وعلا - أن يعافينا وإياكم وأن يورثنا وإياكم الثواب العظيم الحسن في الدنيا والآخرة.

فإن من تواضع لله رفعه.

ومنها - : وليس هو في قدرة العبد ولكنه من فضل الله ورحمته

[الشرح]

وهذا من الأسباب العظيمة أيضا وعلى العبد أن يسعى إليه بطاعة الله - جلا وعلا - وإلا هو من الله - جلا وعلا - ليس للعبد عليه قدرة هذا السبب الذي سيأتي.

ما يعوض الله عباده العارفين به ، الزاهدين فيما يفنى من المال والشرف ، مما يعجله الله لهم في الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر ، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة في الباطن.

وهي الحياة الطيبة التي وعدها الله لمن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك في الدنيا ولا أهل الرئاسات والحرص على الشرف كما قال إبراهيم بن أدهم.

لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

ومن رزقه الله ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل والرئاسة الفانية.

قال الله تعالى: - ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] وقال الله تعالى: - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]

وفي بعض الآثار يقول الله - عز وجل - : « أنا العزيز فمن أراد العزة فليطع العزيز ومن أراد عزّ الدنيا والآخرة وشرفهما فعليه بالتقوى »

[الشرح]

ألا إنّما التّقوى هي العِزّ والكرَم ***** وحُبكَ للدنيا هو الذلّ والعدم
وليسَ على عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ إذا ***** حقّق التّقوى وإن حاك أو حَجَمَ

ألا إنّما التّقوى هي العِزّ والكرَم يعني الشرف
ما دام مُتّقيا لله - جلّ وعلا- فالله يرفعه، ولو احتقره الناس.

كان حجاج بن أرتاة يقول: قتلني حب الشرف، فقال له سوّار: لو اتقيت الله شرفت.

[الشرح]

وهذا مما ذكر في ترجمته - الله يعفو عنا وعنه - يقولون فيه كان عجب وفخر الحجاج بن أرقطاة.

وفي هذا المعنى شعر:

ألا إنما التَّقْوَى هي العِزُّ وَالْكَرَمُ **** وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هو الذُّلُّ والعدم

[الشرح]

ونحن حفظناه هو العدم ، والذلّ والعدم في مقابل الجاه والسلطنة والعدم الفقر في مقابل الغنى هكذا حفظناه ، فالذل في مقابل الجاه للسلطان والرفعة بالولاية ، والعدم في مقابل الغنى.

وليسَ على عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ **** إذا حققَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ

وقال صالح الناجي: الطاعة إمرةً والمطيعُ لله أميرٌ مُؤَمَّرٌ على الأُمراءِ، ألا تَرى هيبته في صدورهم، إن قال قبلوا ، وإن أمر أطاعوا.

ثم يقول: يحقُّ لمن أحسنَ خدمتك ومننت عليه بمحبتك أن يذلَّ الجبابرة حتى يهابوه لهيبته في صدورهم من هيبتك في قلبك، وكل الخير من عندك لأوليائك.

[الشرح]

وهذا صحيح ، أن من اتقى الله - جل وعلا- وقام بما يجب عليه وراقبه في العلانية والخفى هيأ الله - جل وعلا - له من يقوم به، وإن كان لا يُحبّ ذلك، وخاف منه الجبابرة، وهو ما بيده سلطان ولا قوة ، لكن سلطان العلم وسلطان التقوى ؛ لأن الذي أمامه وإن تسلطن في الدنيا، وتجبر في الدنيا يعلم أن هذا الذي بين يديه لا يهابه ، لا يخاف إلا الله - جل وعلا- ، ويعلم أيضًا أن الناس يزنون له وزنًا، ويعظمونه ويقدرّونه، وربما يخشى منهم، لو

قال له كلمة تُسقطه بين الناس، فتجده يهاب ذلك الصالح، وإن لم يكن له على الناس إمرة؛ لأن الإمرة إمرة القلوب، والقلوب بيد الله وقد أقبل بها على أوليائه - سبحانه وتعالى -، فتُصبح لهم هيبة في نفوس هؤلاء، وهذا كله من الله - جل وعز -، فتجد الناس لا يهابون الحاكم الصولجان بيده، ولكن يهابون هذا الصالح ولذلك يهابه، والسر في هذا أنه عامل الله - جل وعلا - وأصلح حاله، فالله سبحانه وتعالى أنزله هذه المنزلة.

وقال بعض السلف الصالح: «ومن أسعد بالطاعة من مطيع؟ ألا وكل الخير في الطاعة، ألا وإن المطيع لله ملك في الدنيا والآخرة».

[الشرح]

لا شك كل الخير في الطاعة، والمطيع لله - جل وعلا - ملك في الدنيا، يعني لا يذل ولا يُذل، كما أنه لم يُذل نفسه بالمعصية، لم يُذله الله - جل وعلا -، بل أعزه وهكذا في الآخرة ملك في الآخرة إذ أورث أعلى الدرجات هذا معناه، كما أنه لم يُذل نفسه في الدنيا بالمعصية أعزه الله - جل وعلا - بأن ألقى محبته في قلوب الناس وألقى له التعظيم والاحترام والتبجيل والتوقير، ويعليه في الآخرة برفعة الدرجات له.

وقال ذو النون: من أعز وأكرم ممن انقطع إلى من ملك الأشياء بيده.

[الشرح]

لا أحد أعز وأكرم ممن انقطع إلى الله - جل وعلا -، فالملك كله بيد الله، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فمن أعزه الله لا يُذله أحد ومن أهانه الله لم يعزه أحد، ﴿وَمَن يَهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، والإعزاز إنما هو باتباع آيات الله

وشرعه ودينه وما جاءت به أنبيأؤه ورسله ﴿وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف ١٧٥-١٧٦]

فالله - جل وعلا - إنما يرفع العبد ، بتمسكه بدينه - جل وعلا - ، والمحافظة على أوامره ، وبعده عن نواهيه ، ﴿وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ يعني يتجمل بالطاعة لكنه لما انسلخ منها صار قبيحاً ، فالآيات واتباعها والذي طاعة الله - تبارك وتعالى - بمثابة الجلد الذي يتجمل به الإنسان ، فإذا انسلخ صارت صورته قبيحة ، يفر منه كل من رآه ، فبالله عليكم لو انسلخ الإنسان من جلده ، كيف يكون منظره؟ بشع كل الناس تهرب منه ، ثم شبهه - جل وعلا - بأقبح الحيوانات وأحسها وأقبحها وهو الكلب ، وليس فقط الكلب ، بل هذا الحيوان الحقير الخسيس في أقبح صورة وأحطها وأحسها من صور الكلب ، ألا وهي حالة اللهث التي يخرج فيها لسانه ، نسأل الله العافية والسلامة ، من شدة الظمأ والحرارة ، فأقبح حيوان وأقبح صورة من صورته وهي صورة اللهث ، فهذا حال من جملة الله بآياته وأبى أن يتجمل بها واتبع هواه ، فهذا حاله نسأل الله العافية والسلامة فالعز عند الله - جل وعلا - العزة بيده ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] فبيده سبحانه وتعالى - مقادير الأمور وأزمنة الأمور فينبغي للعبد أن يتقرب إلى الله الذي يُعزّ ويذل سبحانه وتعالى ، لما جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك الرجل وقال : يا محمد ، إن مدحي زين وذمي شين قال: إنما ذلك الله - عز وجل - من يخفضه الله لا يعلّيه أحد ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ ومن يعزه الله ويعليه ويرفعه فلا مذل له فإن الأمر كله بيد الله - جل وعلا - .

فعليك أن تراقب الله سبحانه وأن تُقبل عليه وألا تنظر إلى أحد فإن هؤلاء المخلوقين ضعفاء عليك أن تُصلح ما بينك وبين الله يُصلح الله - جل وعلا - ما بينك وبين الناس ويصلح لك دنياك وآخرتك.

دخل محمد بن سليمان أمير البصرة على حماد بن سلمه وقعد بين يديه يسأله فقال له: يا أبا سلمه ، ما لي كلما نظرت إليك ارتعدت فرقا منك؟ قال: لأن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله خافه كل شيء وإن أراد أن يُكثر به الكنوز خاف من كل شيء.

[الشرح]

الله أكبر، نعم إذا أراد به وجه الله - جل وعلا - قام فيه الله بحقه من بيان الحق وهداية الخلق وإنكار المنكر والنصيحة لمن تحب له النصيحة ، فحينئذ يخافه كل شيء لأنه يعلم أنه لا يخاف في الله لومة لائم المادح والقادح عنده سواء لا يهمه ، فهذا يخافه كل شيء ، أما إذا أراد بما طلب بما حصل من العلم الدينار والدرهم وأراد به الكنوز وأراد به الدنيا فهذا يخاف من كل شيء يخاف من كل شيء يتسبب في ذهاب هذا الجهل ، يسلب عنه المال ويسلب عنه الجاه فهو حريص على الدنيا فيخاف أن تزول أما صاحب الدين لما هو حريص على الآخرة لا يهمه زوال الدنيا ، لأنه إنما يطلب ما عند الله - تبارك وتعالى - ففرق بين من يطلب ما عند الله فلا يخاف إلا الله وما هو خائف على الدنيا ، يعلم أنها متاع زائل وإن طول فيها لا بد وأن يفارقها فيقوم لله بحقه فيها ، وأما من تعلق قلبه بما خاف عليها أن تفارقه فيخاف من كل شيء.

ومن هذا قول بعضهم: على قدر هيبتك لله يخافك الخلق ، وعلى قدر محبتك لله يحبك الخلق ، وعلى قدر اشتغالك بالله تشتغل الخلق بأشغالك.

[الشرح]

بأشغالك ؛يعني تقضي لك حوائجك وتتسارع في خدمتك هذا معناه، تجدد العالم ما له شيء في الدنيا ما يريد الدنيا معرض عنها مُنصرف عنها يأخذ منها ما تقوم به حياته من الأساسيات فقط ، ومع هذا تجد الناس كلها تتسارع في خدمته تشتغل بأداء حوائجه وقضاء حوائجه له لأنه ما اشتغل بالدنيا وإنما اشتغل بحق الله - جل وعلا - عليه فعلى قدر اشتغالك بالله - جل

وعلا - يعني بطاعته ومراضيه تشغل الناس بأشغالك يعني تقضي لك حوائجك وهذا هو الذي يخدم الآخرة تخدمه الدنيا ، وأما من خدم الدنيا استخدمته وعلى قدر هيبتك لله يخافك الخلق لأنهم يعلمون أنك لا تخاف في الله أحداً وعلى قدر محبتك لله تصلح أعمالك يحبك الخلق يوضع لك القبول في قلوب الناس.

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يوماً يمشي ووراءه قوم من كبار المهاجرين ، فالتفت فرآهم فخرؤا على ركبهم هيبة له ، فبكى عمر - رضي الله عنه - وقال : اللهم إنك تعلم أي أخوف لك منهم ، فاغفر لي.

وكان العُمري الزاهد قد خرج إلى الكوفة إلى الرشيد ليعظه وينهاه ، فوقع الرعب في عسكر الرشيد لما سمعوا بنزوله ، حتى لو نزل بهم عدو مئة ألف نفس لما زادوا على ذلك.

[الشرح]

مما يجده في نفسه من الخوف من هذا وأمثاله وذلك لما يعلمه من صدقهم ولمكانتهم في قلوب الناس ما يعلم من صدق هؤلاء ومكانتهم في قلوب الناس.

وكان الحسن لا يستطيع أحد أن يسأله هيبة له ، وكان خواص أصحابه يجتمعون ويطلب بعضهم من بعض أن يسألوه عن المسألة ، فإذا حضروا مجلسه لم يجسروا على سؤاله ، حتى ربما مكثوا على ذلك سنة كاملة هيبة له.

[الشرح]

الله أكبر هذا هو وقار العلم وهيبة الوقار التي ورثوها بسبب العلم والعمل الصالح

يأبى الجواب فلا يُراجع هيبة **** والحاضرون نواكس الأذقان

عز الوقار وعز سلطان التقى **** فهما الوقار وليس ذا سلطان

قالت :هذا هو الملك ما هو ملك أبيك الذي يساق له الناس بالعصا الملك ملك مالك .
يأبى الجواب فلا يراجع هيبه والحاضرون نواكس الأذقان
يخافون لا يتقدمون بين يديه ، هذا هو السلطان ، هذا هو الملك الحقيقي ، نعم.

وكذلك كان مالك بن أنس يُهاب أن يسأل ، حتى قال فيه القائل شعراً:
يدع الجواب ولا يراجع هيبه والسائلون نواكس الأذقان
نور الوقار وعز سلطان التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان
وكان يزيد بن العقبلي يقول: من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله عليه بوجهه وأقبل
بقلوب العباد عليه ، ومن عمل لغير الله صرف الله وجهه عنه وصرف قلوب العباد
عنه.
وقال محمد بن واسع: إذا أقبل العبد بقلبه على الله أقبل الله إليه بقلوب المؤمنين.
وقال أبو يزيد البسطامي:

[الشرح]

ما كان له أن ينقل كلام أبي يزيد البسطامي ، سامحه الله مثل هذا لا ينقل كلامه ، نعم ، ما
كان له أن ينقل كلام مثل أبي يزيد البسطامي وهذا مما انتقد به والحافظ ابن رجب - رحمه
الله - في بعض رسائله مثل هذه ، مثل أبو يزيد البسطامي وأمثاله ما ينبغي أن ينقل عنه
صاحب شطحات وانحرافات.

وقال أبو يزيد البسطامي: طلقت الدنيا ثلاثاً بتأتاً ، لا رجعة لي فيها ، وصرت إلى ربي وحدي ، وناديت بالاستعانة: إلهي ، أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك ، فلما عرف صدق الدعاء من قلبي واليأس من نفسي كان أول ما ورد علي من إجابة الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية ، ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم.

وكان يزار من البلدان ، فلما رأى ازدحام الناس عليه قال:

وليتني صرت شيئاً	من غير شيء (أعد)
أصبحت لكل مولى	لأنني لك (عبد)
وفي الفؤاد أمور	ما تُسطّاع تعد
لكن كتمان حالي	أحق بي (وأشد)

كتب وهب بن منبه إلى مكحول: أما بعد ، فإنك أصبت بظاهر علمك عند الناس شرفاً ومنزلة فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى ، *واعلم أن إحدى المنزلتين تمنع من الأخرى.

ومعنى هذا أن العلم الظاهر من تعلم الشرائع والأحكام ، والفتاوى والقصص والوعظ ونحو ذلك مما يظهر للناس يحصل به لصاحبه عندهم منزلة وشرف.

والعلم الباطن المودع في القلوب في معرفة الله وخشيته ومحبه ومراقبته والأنس به والشوق إلى لقائه والتوكل عليه والرضا بقضائه، والإعراض عن عرض الدنيا الفاني، والإقبال على جوهر الآخرة الباقي، كل هذا يوجب عند الله لصاحبه منزلة وزهداً، وإحدى المنزلتين تمنع من الأخرى.

فمن وقف مع منزلته عند الخلق، واكتفى بما حصل عندهم بعلمه الظاهر من شرف الدنيا، وكان همه حفظ هذه المنزلة عند الخلق، وملازمتها وتربيتها* والخوف من زوالها، كان ذلك حقه من الله تعالى، ومن وقع به عمد فهو كما قال بعضهم ويل لمن كان حظه من الله الدنيا.

الشيخ:

* إما أن تأخذ الدنيا بعلمك وإما أن تأخذ الأخرى بعلمك واحدة منها اختر لنفسك.

الشيخ:

* تربيها ولا وتربيته، نعم تربيته ولا لا، عندكم هكذا هذا هو الصواب تربيته المراد به تنمية الدنيا وتزويد الدنيا، كل يوم يزيد له، نعم.

[الشرح]

هذا صحيح، أن العلم الشرعي ظاهر للناس أمام الناس ولكن الثمرة لهذا العلم هي التي تحس بها بقلبك بينك وبين الله -جل وعلا-، هذه الثمرة الباطنة هي الخوف من الله، وخشيته ومراقبته ومحبته سبحانه، والأنس به والشوق إلى لقائه، والإعراض عن الناس وعن الدنيا وعمّا في أيدي الناس ، والتوكل على الله -جل وعلا- والرضا بقضائه -سبحانه وتعالى-، هذه هي ثمرة العلم، لأنه إذا أثر العلم في القلب هذه الثمرة قام العبد بما يجب لله - تبارك وتعالى - عليه، وإذا لم يثمر له هذه الثمرة نقص بقدر ما حصل من النقص في قلبه من هذه الثمرة، وحينئذٍ إما أن يكون همه الآخرة، إذا حصلت الثمرة وطابت ، وإما أن يكون همه الدنيا إذا لم تحصل هذه الثمرة في القلب، فيكون مشغولاً بها خائفاً من زوالها عنه وهذا قد تقدم معنا الكلام عليه.

وكان السريُّ السَّقَطِيُّ يُعْجِبُهُ مَا يَرَى مِنْ عِلْمِ الْجُنَيْدِ وَحُسْنِ خُطَابِهِ وَسُرْعَةِ جَوَابِهِ فَقَالَ لَهُ يَوْمًا وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَ وَأَصَابَ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ حَظُّكَ مِنَ اللَّهِ لِسَانُكَ فَكَانَ جُنَيْدٌ لَا يَزَالُ يَبْكِي مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

الشيخ:

عندنا حظك من الدنيا لسانك، عندك الله ما أشار شيء في النسخة في الهامش، نعم هذا الذي عندنا أن يكون حظك من الدنيا لسانك ، نعم.

وَمَنْ اشْتَغَلَ بِتَرْبِيَةِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، مِمَّا ذَكَرْنَا مِنَ الْعِلْمِ الْبَاطِنِ وَصَلَ إِلَى اللَّهِ
وَاشْتَغَلَ بِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ.

[الشرح]

فإذا العلم الباطن المراد به هنا ليس ما يريده الصوفية، ما هو العلم الباطن عندهم الذي لا يُتَعَلَّم من الوحي، بالرؤى والمنامات والذوق ونحو ذلك، هذا كلام باطل ويحتجون عليه بقول الله - جل وعلا - في الخضر: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [سورة الكهف: ٦٥] قوله ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ من فين التعليم له من الله - جل وعلا - وحي لذلك قال لموسى: إني على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا. وقال له: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر. فهذا العلم من الله آتاه الله إياه وهو دليل على أن الخضر نبي، ولا دلالة للصوفية المنحرفين في الاحتجاج بالخضر - عليه السلام - وأن هذا العلم الذي عنده هو العلم اللدني، ولذلك أرادوا أن يموهوا على الناس ويلفقوا كذبهم، قالوا أنتم تأخذون علمكم ميتًا عن ميت، حدثنا حدثنا، حدثنا فلان قال أخبرنا فلان، فلان أين هو مات، عمن عن فلان مات، طيب ولكن منتهاه إلى من إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، والنبي - صلى الله عليه وسلم - قد مات ولكن العلم باقٍ، طيب وأنتم عمن تأخذون علمكم، قالوا عن الحي الذي لا يموت، إذا فلهم طريقة أخرى في تلقي العلم، غير طريقتنا نحن المسلمين، طريقتهم هي الرؤى والمنامات، ما هي طريقتكم؟ قالوا هم يأخذون من اللوح المحفوظ مباشرة - ما شاء الله - الله - جل وعلا - يقول: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [سورة الكهف: ٦٥]، فهل أنتم جاءكم هذا؟ هل ثبت أن الله علمكم؟، النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يُنزل عليه بالوحي وأنتم تأخذون من اللوح مباشرة، شوف الكذب على الله - تبارك وتعالى -، والافتراء على الله - سبحانه وتعالى -، يأخذ من اللوح المحفوظ مباشرة، هذا هو الكذب، فالمقصود بالعلم الباطن هنا، الثمرة التي في القلب التي يثمرها العلم في القلب، من معرفة الله وخشيته، ومحبه ومراقبته، والأنس به والشوق إلى لقائه

- سبحانه وتعالى-، والتوكل عليه والرضا بقضائه - سبحانه وتعالى-، هذا الذي يورث الإنسان الأنس في قلبه فيعرض عن الدنيا، هذا هو العلم الباطن، يعني ثمرة للعلم الظاهر، أما إذا كان في الظاهر جاهلاً، كيف يكون عالماً بالباطن، كيف؟، الله -جل وعلا- قال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة: ١١]، قال -جل وعلا-: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر: ٩]، قال -جل وعلا-: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٣]، إلى غير ذلك من الآيات المنوّه لفضل العلم والمشيد به، لكن هؤلاء أرادوا أن يفسدوا على الناس هذا، فجاءوهم بهذا الذي يسمونه بالعلم اللدني، يعني ما فيه اكتساب من الله ينزل عليهم، هذا كلام باطل، فإن الله -جل وعلا- قد سد الطريق إلى الجنة بعد بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا من طريقه، أبداً فمن ترك طريق النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد خُذِلَ- نسأل الله العافية والسلامة-، فلا حُجة لا يتعلق بمثل هذه العبارة من المصنف لأن المصنف قد شرحها -رحمه الله -، وليس هو على طريق هؤلاء.

وكان له في ذلك سبلا عن طلب المنزلة عن الخلق، ومع هذا فإن الله يُعْطِيهِ المنزلة في قلوب الخلق والشرف عندهم، وإن كان لا يُريد ذلك ولا يقف معهم، بل يهرب منهم أشد الهرب ويفر أشد الفرار، خشيةً أن يقطع الخلق عن الحق -جل جلاله-.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم: ٩٦]، أي في قلوب عباده.

وحديث ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى يَا جِبْرِيلُ ، إِنِّي أَحِبُّ فَلَانًا فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ))

الشيخ:

عندنا وفي الحديث، عندكم إيش وفي حديث أو في الحديث نعم.

عندك حديث؟

القارئ: نعم.

الشيخ: وفي حديث أو في الحديث إنَّ.

والحديث معروف وهو مخرجٌ في الصحيح.

[الشرح]

نعم، هذا بسبب اشتغاله بحق الله -تبارك وتعالى-، ومراقبة الله -سبحانه وتعالى- في الباطن فأثمر له هذه الثمرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم: ٩٦]، يعني محبةً في قلوب العباد لأنهم أحبوا الله فعاملوه -سبحانه وتعالى- فأحبهم الله وجعل لهم القبول في أهل الأرض، فالجزاء من جنس العمل.

وفي كل حال فطلب الآخرة يحصل معه شرف الدنيا

الشيخ:

فطلب شرف الآخرة عندنا وعندك؟

فطلب شرف الآخرة. نعم

فطلب شرف الآخرة يحصل معه شرف الدنيا، وإن لم يردده صاحبه ولم يطلبه.

الشيخ:

يحصل معه شرف في الدنيا أو شرف الدنيا كله سواء، وإن لم يردده صاحبه ولم يطلبه.

وطلب شرف الدنيا مع شرف الآخرة لا يجتمع معه.

الشيخ:

لا يجامع شرف الآخرة ولا يجتمع معه عندنا وعندك طلب إيش؟
وطلب شرف الدنيا مع شرف الآخرة لا يجتمع معه.
ممكن يأتي.

وطلب شرف الدنيا يمنع شرف الآخرة ولا يجتمع معه.
عندكم هكذا وعندنا لا يجامع شرف الآخرة ولا يجتمع معه.

والسعيد من أثر الباقي على الفاني.

كما في حديث أبي موسى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ
أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى))
خرّجه الإمام أحمد وغيره.

وما أحسن ما قال أبو فتح البُستيُّ:

أمران مفترقان لست تراهما يتشوّقان لخلطة وتلاقي

طلب المعاد مع الرياسة والعُلى فدع الذي يفنى لما هو باقي

تمّ كلامه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

آخر شرح الحديث والله الحمد والمنة.

[الشرح]

وهذا هو الخلاصة: ينبغي لطالب الآخرة أن يسعى في طلبها بكل وجهٍ من الوجوه وليعلم أنه إذا طلب الآخرة جاءته الدنيا راغمة فشرفُ الآخرة يحصل معه شرف الدنيا وأما من طلب شرف الدنيا وغفل عن الآخرة فقد رضىَ بالفاني النازل وفرطَ في العالي العالي.

وكلما اقترب من الدنيا ابتعد من الآخرة، كما أنه كلما قَرَّب من الآخرة ابتعد من الدنيا لأن الدنيا تدعوه بزهرتها ، والآخرة تدعوه بحسن ما فيها، فمن عرف الآخرة حقاً وعرف الدنيا على حقيقتها احتقرها ولم يجعلها بدلاً عن الآخرة والسفيه ضد ذلك، يسعى إلى الشرف في الدنيا ولا حظَّ له في الآخرة كما قال الله - جلَّ وعلا-: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيِّنَتَهَا﴾ - من كان يريد الإرادة هنا مقصودة كان ما همَّه إلا الدنيا- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيِّنَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ - وفي الآخرة إيش؟ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود ١٥-١٦]

فليحذر المسلم أن يفسد دينه عليه من هذين البابين العظيمين، فهما بابان عظيمان للفتنة باب حبِّ الشرف والجاه والترأس على الناس الذي يتنازل بسببه عن كثيرٍ من أوامر الله وأحكامه ليُرْضي الناس وهكذا الدنيا التي يتنازل فيها عن كثيرٍ من أحكام الله وشرعه ليُحصِّلها بها، فيفسد بذلك دينه ونسأل الله -جلَّ وعلا- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يورثنا وإياكم جميعاً العلم النافع والعمل الصالح والفقہ في الدين والبصيرة فيه والثبات على الحق والهدى حتى نلقاه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

ولعل إن شاء الله لقاءنا غدًا يكون في الصباح والمساء في النخبة إن شاء الله بما أن الله -جلّ وعلا- قد منّ علينا وانتهينا من هذه الرسالة النافعة العظيمة وأنا قد قصدت أن تُقرأ هذه الرسالة لنسمعها جميعًا لما سمعتم فيها من الخير العظيم الذي تحث عليه ولما فيها من الشر الذي تُحذّر منه خصوصًا في حقنا نحن طلبة العلم ، فإن هذا الباب بابٌ خطير حب الرياسة وحب الدنيا وحب الجاه وحب المال وتحب أن يعظمك الناس أو تعظم لأجل الدنيا معك إما

لأجل الدين وإما لأجل الدنيا فتبيع دينك وذلك لأن العلم علمٌ يورث العمل وهذا مما ينبغي أن يتأدب به طالب العلم ألا يكون مقصوده بعلمه الدنيا وألا يصرف علمه ويدّسه في تحصيل الدنيا فإن العلم شريف إنما طلبته ليدلك على الله -جلّ وعلا- والدنيا خسيصة فلا تبذل النفيس في طلب الخسيس وطلب الجاه فتنة للإنسان فنسأل الله العافية والسلامة.
وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد.









